

صورة المرأة في المثل الشعبي الجزائري بين المقام والرمزية.

**Title in English: The image of women in the Algerian folk proverb  
between maqam and symbolism.**

شادلي عمار<sup>1</sup>

<sup>1</sup> جامعة مولاي الطاهر سعيدة (الجزائر)، chadliamar1967@gmail.Com

تاريخ الاستلام: 2021/10/10 تاريخ القبول: 2021/10/21 تاريخ النشر: 2021/12/23

**ملخص:**

تمثل الثقافة الشعبية الجزائرية الوعاء الفني والجمالي لروح المجتمع، والمصدر الأصيل لحركته الاجتماعية والثقافية والفكرية واللغوية... ولعل من أبرز عناصرها يسرا وسرعة في الانتقال والتداول بين الأفراد والجماعات، وأشد بقاء وصفاء الأمثال الشعبية، هذه الأخيرة التي تعكس بصدق وأمانة قيم المجتمع وتقاليده وأعرافه، وتتناول مختلف القضايا المصيرية للأمة، وبخاصة تلك التي تهتم بدراسة العلاقات الاجتماعية المتباينة، على غرار موضوع المرأة من خلال : صورتها وموقعها في فضاء الثقافة الشعبية الجزائرية، لأجل ذلك سنحاول في هذا المقال الكشف عن صورة المرأة في المثل الشعبي الجزائري بين المقام، والدلالة، والرمزية.

**كلمات مفتاحية:** الثقافة الشعبية الجزائرية- المثل الشعبي - صورة المرأة- المقام والرمزية.

**Abstract:**

La culture populaire algérienne représente le contenant artistique et esthétique de l'esprit de la société, et la source originelle de son mouvement social, culturel, intellectuel et linguistique... Peut-être l'un de ses éléments les plus marquants est la facilité et la rapidité dans le mouvement et la circulation entre les individus. et les groupes, et le plus durable et la pureté des proverbes populaires, ces derniers qui reflètent honnêtement et fidèlement les valeurs, les traditions et les coutumes de la société, Il traite de diverses questions cruciales de la nation, en particulier celles qui concernent l'étude des différentes relations sociales, similaire à la question

المؤلف المرسل: شادلي عمار.

de la femme à travers : son image et sa position dans l'espace de la culture populaire algérienne.

**.Keywords:** Algerian popular culture-popular proverb-image of women-status and symbolism.

## أ- مقدمة:

يجمع كثير من الباحثين في ميدان الثقافة الشعبية الجزائرية بمختلف فنونها وطبوعها، أن الدراسة والبحث في هذا الفضاء يكتسي أهمية بالغة، باعتباره إبداعا فرديا فنيا مميزا بعينه، ثم ذاب في ذاتية الجماعة التي ينتمي إليها مصورا همومها وآلامها، وأفراحها وأقراحها في قالب شعبي جماعي، يتماشى مع نظرتها ومستواها الفكري والثقافي واللغوي، وكذا موقعها الإيديولوجي إزاء قضايا المجتمع.

إن الثقافة الشعبية الجزائرية، وبخاصة الشفوية منها، تمثل أغلب الأشكال التعبيرية المنطوقة التي تختزنها الذاكرة الشعبية، وتشمل الموروث السردى على سبيل: الحكايات، والخرافات، والحكم، والأمثال الشعبية وغيرها من فنون التعبير الأخرى، التي يتم توظيفها في فهم وتفسير سلوكيات الأفراد والجماعات، انطلاقا من قيمهم وشخصياتهم، وكذا علاقاتهم بباقي أفراد المجتمع، من خلال مستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والحضارية، فالمتأمل لهذه المواقف التي يتخذها الفرد، يجدها حصيلة تصورات وتمثلات، استقاها وتشربها من المحيط المعيش، ولعل من أبرز عناصر التراث الشعبي استيعابا وسرعة في الانتشار بين كافة أفراد المجتمع، الأمثال الشعبية التي تمثل صفوة الأقوال، وعصارة الأفكار لأجيال سبقتنا عبر التاريخ الإنساني، حيث أجمع المحدثون على صوابها، وقوة الاستشهاد بها في مواقف الجدل، ومختلف ضروب الكلام في قالب موسيقي جميل، وبأسلوب موجز معبر متين تقتنع به العقول، وتأنس له النفوس، وتمثل له الجوارح، فيصبح متداولاً بين العامة من جيل إلى جيل، فالمثل الشعبي يتناول مختلف قضايا الأمة، وبخاصة تلك التي تتعلق بصورة المرأة ومقامها في المجتمع لكونها عنصرا هاما وفعالا في تربية الناشئة والمساهمة جنباً إلى جنب مع أخيها الرجل في بناء الوطن، والحفاظ على تماسكه وديمومته الحضارية عبر العصور والأزمنة. ونقصد هنا بصورة المرأة ورمزيتها في الأمثال الشعبية الجزائرية، ذلك البناء الذهني الذي يتم على مستوى الذاتية، والرمزية، والخيال الذي يرتبط بالواقع الإنساني.

## – الإشكالية:

– غالبا ما يتناهى إلى أسماعنا أن صورة المرأة في الجزائر تماثل نظيرتها في أي مجتمع آخر، إذ تهيمن عليها الإيديولوجية البطريكية، وتلعب التربية التقليدية دورا كبيرا في استمرارية وإعادة إنتاج الممارسات

الاجتماعية التمييزية التي تحط من قيمتها وكرامتها، لكن نادرا ما نؤسس لهذه القناعة التي أضحت تحصيل حاصل، نحو البحث في واقع المرأة، الفعلي أو المباشر، أو المتخيل عبر رصد صورة المرأة في الثقافة، وفي الخطابات التي ينتجها المجتمع للتعبير عن ذاته.

بناء على هذا التصور، تستهدف هذه الدراسة البحث في صورة المرأة التي ترسمها الأمثال الشعبية الجزائرية من حيث: التعريف، والرمزية، والوظيفة الريادية في التنشئة الاجتماعية، من خلال ثلة من التساؤلات أهمها:

- 1- إلى أي مدى تهتم الثقافة الشعبية الجزائرية بقضايا المجتمع وتعالجها وفق منظور علمي سليم؟
- 2- هل الأمثال الشعبية تعكس الصورة والمقامة الحقيقية والمستحقة للمرأة الجزائرية على غرار نساء العالم؟
- 3- إلى أي مدى تعبر الأمثال الشعبية عن هموم المرأة وتطلعاتها في المجتمع الجزائري؟
- 4- هل دلالة ورمزية المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية حقيقة أم خيال

### 1- تعريف المثل الشعبي في اللغة والاصطلاح:

يعد المثل الشعبي من أهم عناصر الثقافة الشعبية وأبرزها منذ القدم، حيث أن العرب اعتنت به عناية بالغة، فكان لكل ضرب من ضروب حياتهم مثل يستهدف به، فالمثل بالنسبة إليهم يجسد اللغة الصافية إلى حد كبير، ولذا فإن أول ما ينبغي على الباحث في معنى كلمة "مثل" لغة هو تقصيها في معاجم اللغة، ومن ثم النظر فيما جاء في كتب التراث وكتب الأمثال الشعبية.

### 1-1- تعريف المثل لغة:

إن معنى مادة "مثل" يتوزع في معاجم اللغة بين هذه المفاهيم التي يختلط فيها المحسوس والمجرد: "التسوية والمماثلة، النسبة، النظير، الصفة، الخبر، الند، العبرة، الآية، المقدار، الحجة، القلب، الانتصاب، نصب، الحدو، الهدف، الفضيلة، التصوير، الوصف والإبانة" (أبو علي محمد توفيق، 1998 ص32) ولقد ورد في لسان العرب عن المادة ما يلي: "مثل، كلمة تسوية، يقال: هذا مثله ومثله كما يقال: شبهه، قال ابن بري: الفرق بين المماثلة والمساواة أ، المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين ، لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص ، وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين والمثل: الحديث نفسه والمثل : الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعله مثله، وفي الصحاح : ما يضرب به من الأمثال ، قال الجوهري: ومثل الشيء أيضا صفته، قال ابن السيدة : وقوله عز من قائل : " مثل الجنة التي

وعد المتقون" قال الليث: مثلها هو الخير عنها ، وقال أبو إسحاق : معناه صفة الجنة". (ابن منظور، ص432)

## 1-2- تعريف المثل في الاصطلاح:

هو على نوعين حسب رأي الدكتور «رابح العوي»: " المثل السائر والمثل الفرضي أو الخرافي كالحكايات المثلية في كتاب كليلة ودمنه لابن المقفع.

أما الأول فهو الذي يعيننا في هذه الدراسة، ويبقى الثاني الذي يحتاج إلى دراسة أخرى.

- إذن فالمثل السائر: هو قول محكي سائر، وجملة متقطعة من كلام، أرسلت لذاتها، وهي ممن وردت فيه إلى ما يحاكيه في معنى من المعاني أي معنى كان، وعلى هذا يكون المثل السائر من ألفاظ المشابهة كما يرى-الدكتور رابح العوي-لكنه أعمها في جميع أنماطها المتمثلة في:

-الجوهر: ويستعمل فيه لفظ الند.

-الكيفية: ويستعمل فيها لفظ الشبه.

-الكمية: ويستعمل أو يعبر فيها بلفظ المساوي.

-القدر والمساحة: ويطلق فيها لفظ الشكل" (رابح العوي، ص39-40)

-أما التالي بن الشيخ، فيورد التعريف التالي: " المثل عبارة عن جملة أو أكثر تعتمد على السجع، وتستهدف الحكمة والموعظة." (التلي بن الشيخ، 1990، ص155)

-ويعرفه الإمام السيوطي بقوله: " والمثل جملة من القول مقتضبة من أجلها أو مرسله بذاتها، وتتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما ورد فيه إلى كل ما يصح قصده بها، من غير تغيير يلحق في لفظها، وعمما يوجه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، ولذلك تضرب، وإن جهلت أسبابها التي خرجت عنها." (السيوطي، ص 486)

-والتعريف الذي تراه الدكتورة نبيلة إبراهيم، شاملا لخصائص المثل الشعبي وحده، هو تعريف الأستاذ -"فريدريك زايلر"، في مقدمة القيم، " علم الأمثال الألمانية" الذي نشره عام 1922 م، إذ يعرف المثل بقوله: " إنه القول الجاري على ألسنة الشعب الذي يتميز بطابع تعليمي، وشكل أدبي مكتمل يسمو على أشكال التعبير المألوفة ". (أحمد أمين، 2008 ص61)

وملخص خصائص المثل عند زايلر: " أنه ذو طابع شعبي، ذو طابع تعليمي، ذو شكل أدبي مكتمل، يسمو على الكلام المألوف برغم أنه يعيش في أفواه الشعب.

## 2- خصائص ومميزات الأمثال الشعبية:

يعد المثل الشعبي من أهم فنون التعبير الشعبية بين الناس، والمتناقلة بين أفراد المجتمع في العصر الواحد وعبر العصور المتعاقبة، ومن خصائصه ومميزاته كما لخصها بعض الدارسين

**2-1- الطابع الشعبي:** الذي يتمثل في أسلوبه الجميل، بفلسفة شعبية بسيطة، نابعة من الحياة اليومية الجارية، ولذا فهي تدرك بسهولة، لأنها في دائرة التجربة الشعبية المصوغة بأسلوب شعبي بسيط.

**2-2- الطابع التعليمي:** وهذا لأن المثل يطلعنا على حقيقة تجربة، لخص نتائجها في جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلة بذاتها، فتلاقي قبولا وشيوعا يمنحها أثرا في صقل تجاربنا، وتهذيب خيراتنا، وتوسيع أفق معرفتنا، وذلك لأننا نعيش - من خلال المثل- التجربة التي عبر عنها أو عن جوهرها بأي شكل كان كالقول القصير، والقصة والقصيدة، ونحن في أثناء ذلك نشعر بهذا المثل الذي يعكس تجربة فردية.": (رابح العوي، ص 174-176)

1- المثل الشعبي ذو شكل أدبي مكتمل: " بنى مستقلة بنفسها مكتفية بذاتها". (عبد المالك مرتاض، 2010، ص98)

**2-3- المثل الشعبي متنوع التراكيب:** فهي قد تكون قصيرة، وقد تكون طويلة، وقد تكون مرسلة، وقد تكون موقعة (مسجوعة)، كما يمكن أن تكون متسلسلة أو متباعدة، وقد يحدث أن تكون مصحوبة بجمل معترضة أو مكررة أو يكون تكوينها منطقيا يربط النتيجة بالمقدمة.

**2-4- المثل الشعبي غير معرب:** يأتي في شكل لغوي لا يحترم الإعراب، وإنما يخضع للذوق الفطري، الذي فرضه الوسط الاجتماعي.

**2-5- ميزة الأمثال الشعبية أنها تتبع من كل طبقات الشعب.**

**2-6- المثل الشعبي يعيش بين جميع طبقات الشعب، بخلاف "زايلر" الذي يحصره في الطبقتين الدنيا والمتوسطة، أما طبقة المفكرين فتكثر بينها الأقوال المأثورة والحكم.**

**2-7- المثل الشعبي يسمو على الكلام المألوف رغم أنه يعيش في أفواه الشعب.**

**2-8- المثل الشعبي موجز اللفظ بحيث يدل قليل الكلام فيه على الكثير من الدلالة.**

**2-9- المثل الشعبي مصيب المعنى، فشرط الكلام القليل، الدلالة المباشرة على المعنى المراد دون تزيد أو نقصان.**

**2-10- المثل الشعبي يمتاز بحسن التشبيه، فهو مطلب بلاغي يمتاز بجودة الكناية، وبهذا يصبح قمة دلالية على المعنى المراد، والصيغة المطلوبة.**

**2-11-** ارتباط المثل بمتغيرات البيئة إذ يبقى منه ما يتصل بحاضر الحياة الاجتماعية، ويكاد يندثر ما لم يتفق مع المتغير الحضاري، فعندما نصف أمرا بقولنا: " هذه ثالثة الأثافي " - يقول: " حلمي بدير ": " لا تكاد تجد عددا كثيرا من المثقفين يدركون المعنى المراد من هذا المثل ... والأثافي هي الأوتاد التي تشد في الأرض لتمسك الخيمة، والخيمة لا تستقر إلا بثلاث ... فهو يعني أنه الأساس أو الركيزة الأساسية ". (حلمي بدير، 1997، ص33)

**2-12-** المثل الشعبي خلاصة التجارب ومحصول الخبرة الإنسانية.

**2-13-** المثل يحتوي على معنى يصيب التجربة والفكرة في الصميم.

**2-14-** يمتاز المثل الشعبي بالعمق والشاعرية الملتفة في ثوب من الشفافية، مما يسهل حفظه وتداوله، على الرغم من أنه لم يخرج من إبداع شاعر، وذلك أن الأمثال فضلا عن أنها حكمة الأمم، ومرآة الشعوب، هي لغة الشعب كله الخاصة والعامة. (طارق فراج، 2007 / 2008، ص 116)

**2-15-** التركيز سمة أساسية في المثل فهو لا يصف التجربة أو يسرد تفاصيلها، ولكنه يحمل رأيا فيها، ومن خلال هذا الرأي يمكن إدراك هذه التجربة وموقف الإنسان منها. (حسين عبد الحميد أحمد رشوان، 1993، ص42) على غرار المثل الشعبي: "اللي تتلقاك عند السكة، تتلقاك عند المحراث "

**2-16-** ومن خصائص المثل الشعبي استعماله صيغة الأفراد بكثرة، وخصوصا اسم الموصول "اللي"، ولا تستخدم صيغة الجمع إلا قليلا، " وتعليل هذه الظاهرة واضح، إذ ليس هناك قضية اجتماعية فيطرح المثل، وإنما هناك دوافع سلوكية تنطبق على الجماعة كأفراد لا كجماعة"، على سبيل المثل الشعبي القائل: "اللي تخدمو طيعو، واللي ترهنو بيعو".

**2-17-** من مميزات الأمثال الشعبية الجزائرية، نقاؤها وتعلقها بالفصحى، واستنادها إليها وبعدها عن العجمة والبطانة، على سبيل: " شكرتني أمّ وخالتي " و " كلب سوء، يجيب اللعنة لمولاه " هذا الأخير الذي يشبه إلى حد بعيد المثل العربي القديم: "على أهلها جنت براشق".

**2-18-** من خصائص المثل الشعبي تعدده في الموضوع الواحد بطريقة تبدو للناظر متناقضة مثل قولهم: خوك خوك لا يغرك صاحبك" وقولهم: "خوك من واتاك موش خوك من أمك وباباك ". (مرجع سابق، ص157) فالمثل الأول يؤكد على القرابة للنسب ويجذر من العلاقات التي تقوم على المنفعة والصدقة بينما يؤكد المثل الثاني على المنفعة والمصلحة.

**3-** أهمية الأمثال الشعبية ودورها في المجتمع الجزائري:

تعد الأمثال الشعبية تعبيراً شعبياً يعكس الخلفية التاريخية وخبرة الإنسان جراء ممارسة الحياة نفسها، " وهي خبرة أدركها الإنسان من خلال عملية إدراكية جمعية، تخرج به من إطار التجربة الذاتية إلى مجال الخبرة الجماعية، التي تعبر عن فكر ووجدان جمعي. " (حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مرجع سابق، ص 41) فهي بذلك:

**3-1-1** تكشف بدلالاتها أن فعل الإنسان إذا فقد قيمته الإيجابية في الحياة أدى هذا الفعل إلى انتقاص من قيمة صاحبه.

المثل حسب رأي ألتلي بن شيخ لا يعالج قضية اجتماعية مرتبطة بظروف مرحلية معينة مثل القصة الشعبية، وإنما يركز على السلوك الإنساني، بمعنى الاهتمام بالفروق الفردية بين الأشخاص والجماعات.

**3-2-2** المثل طريقة لإرشاد الناس ووعظهم لفعل الخير، ونشر الفضيلة والأخلاق الحميدة، بدون إكراه أو توجيه على سبيل المثل القائل: " اللي أعطى كلمته، أعطى رقبته "، " الكلمة كي لبارود إذا خرج ما يرجع"، " واللي شفتو راكب على قصبه قل له ميروك العود أو الحصان".

**3-3-3** يحظى المثل بشعبية كبيرة من خلال استعماله في المناسبات القولية أو الكتابية من قبل السياسيين في خطبهم، والأدباء في شعرهم ونثرهم، والعامّة في كلامهم العادي للاستشهاد والتوجيه، فعندما نسمع عن مثل: " كب القدرة على فمها تطلع البنت لأمها " (نستنتج أنه يعبر عن مدرك من مدركات الحياة ويصح أن يصبح قاعدة، ولكن نفاجاً عندما يناقضه تماماً) المثل القائل: " النار تولد الرماد" - فالرماد ليس مثل النار، لأنه خالي من الحرارة فالمثلان يقف كل منهما على حدى ليعبر عن تجربة مفردة، وكل هذا يدل على أن عالمنا عالم تجريب". (إبراهيم نبيلة، 1981، ص 197)

**3-4-4** لضرب المثل أهمية بالغة في توضيح المعنى وتجسيد المتخيل، لذلك اهتمت العرب بضرب الأمثال، واستحضرتها العلماء في كل مناسبة تحتاج إلى شرح أو إفهام. ولما كانت الأمثال فنا من الفنون الأدبية الشعبية الحية تعلقت بكل شيء، وتناولت جل ما يتصل بالحياة، " فتراها تعالج الأخلاق والحكمة، والتربية والتوجيه، والسخرية والتهمك، والنكتة والفكاهة والعظة والعبرة، والحب والكراهة، والاضطراب والاطمئنان، والخوف والأمن، والسعادة والشقاء، والخصب والجذب، والحرب والسلام، والحياة والموت، وكل ما يتصل بالحياة مجال فسيح لفن المثل ... والأمة إذا كثرت أمثالها، دل ذلك على ذكائها، وحيويتها". (عبد المالك مرتاض، ص 34)

**3-5-** الأمثال تعبر عن مصائرنا لما تحمل من تجارب السابقين، التي مازالت صالحة لحاضرنا ومستقبلنا، "إننا نعيش جزء من مصائرنا في عالم الأمثال، على عكس الأنواع الشعبية الأخرى مثل الأسطورة والحكاية، فالأمثال بالنسبة لنا عالم هادئ، نركن إليه حينما نود أ، نتجنب التفكير الطويل في نتائج تجربتنا". (إبراهيم نبيلة، مرجع سابق ص182)

**3-6-** المثل بالنسبة للعامة قانون يحتم الالتزام به، والإيمان الكامل بما يحمل من معنى، فكم من أمثال أهدت خلافات، وحلت مشاكل خاصة، ويذكر الكاتب: "أن رجلا استعار قدوما ليصنع بها أوتادا لأبقاره، وبعد أيام عدة سأله أبوه عن القدوم، فأخبره أنه سيحضرها غدا، غير أنه تماطل حتى اشتكاه لشيخ القرية، فقال له: "ماعليهش يا ابني - وزى ما قالك ذاك - (أدي يا ايدي واتبعي يارجلي)، فتمتم أبوه موافقا وذهب ليحضرها بنفسه". (طارق فراج وأيمن أنور، مرجع سابق، ص 113)

#### 4- مفهوم الرمز في اللغة والاصطلاح:

**4-1- مفهوم الرمز في اللغة:** هو تصويت خفية باللسان كالمهمس، ويكون بتحريك الشفتين لكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة للصوت فهو إشارة بشفتين. وقيل الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين. والفهم والرمز في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو بعين، وفي قوله تعالى: «ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا" (جمال الدين أبي الفضل ابن منظور، 2002، ص417). والرمز: الإيماء والإشارة والعلامة، وفي علم البيان الكناية الخفية.

قال الطرماح: "إذا ما رآه الكاشحون ترمزوا\*\*\* وحذارا وأومئوا كلهم بالأنامل. (معجم اللغة العربية المعجم الوسيط، 2004، ص372)

والرمز -symbole- علامة تعتبر ممثلة لشيء آخر ودالة عليه.

**4-2- مفهوم الرمز في الاصطلاح:** يعد "ابن رشيق" من الأوائل الذين أشاروا إلى الرمز في المصطلحات البلاغية والنقدية حيث جعله من أنواع الإشارة، إذ يقول: "وأصل الرمز: الكلام الخفية الذي لا يكاد يفهم ثم استعمل حتى صارت الإشارة، وقال الفراء: "الرمز بشفتين خاصة". (محمد بوزواوي، 2009، ص155)



كما أشار "الجاحظ" بدوره إلى مضمون الرمز إلا أنه أطلق عليه اسم (الدلالة) ، فقال: " وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم حال التي تسمى نصبة " .

"الرمز هو تعهد استخدام كلمة أو عبارة لتدل على شيء آخر لا بالتشابه، لأن الرمز نقيض الاستعارة والتشبيه، ويفتقر إلى المشبه به، بل الإيحاء والإشارة " . (عماد علي الخطيب، 2006، ص40)

3-4 ويعتبر البلاغيون الرمز عنصرا هاما من عناصر الكناية لأنه يحمل شحنة الإيحاء والتلميح التي انبنت عليها، بل إن الأمثلة التي قدمها البلغاء قديما وحتى منتصف القرن العشرين للرمز هي نفسها أمثلة الكناية لأحدهما معا يخفيان ويشيران، وهما صنفان للكناية لغة واصطلاحا. (إدريس الكريوي، 2014، ص280)

### 5- صورة المرأة ورمزيتها في الأمثال الشعبية الجزائرية:

إن خطاب الأمثال الشعبية يعبر عن الواقع و يخترن صوراً مختلفة للواقع البشري، من ضمنها صورة المرأة و مكائنتها من خلال الرمزية والخيال، باعتبار أن نشأة الرموز المتعلقة بالمرأة ضمن الثقافة الشعبية الجزائرية و بخاصة الأمثال الشعبية، تبرز تمثالات الرجل و المجتمع لصورتها و موقعها، و الإحساسات العميقة التي تثيرها في نفسية الذكر خصوصا (جليبر دوران، 1999، ص09) ، فالمرأة قد يصدر عنها سلوك سيء كالمكر، و الخداع، و الخيانة، فيرمز لها ببعض الحيات الماكرة كالأفاعي و العقارب مثلا، و لما كانت هذه الأخيرة تمثل تهديدا صامتا، فقد مثلت بعنصر من عناصر الطبيعة ألا وهو الماء، و بمأن المرأة عنصر استمرار للحياة وحافضة للنسل من الانقراض، فقد قورنت بالأرض الخصب التي تمنح الغذاء والعطاء للإنسان، فهذه إشارة بسيطة إلى أهم الرموز الرئيسية التي لا تزال متداولة إلى اليوم، وهي على النحو الآتي:

### 5-1 المرأة رمز الشؤم والخدعة:

من الأمثال الشعبية الشائعة والمتداولة بين طبقات المجتمع الجزائري، التي تبرز المرأة رمزا للشؤم والخدعة، مشبهة إياها بالحيوانات السامة والمهلكة ما يلي: -"السم من الفار ولا مولات الدار"، "صوت حية ولا صوت بنية"، اللي حكما تو لفعه أداتو لدارها"، "المرأة لفعه سارده ولكن سخنت راهي مارده"، "المرأة أخت اللفعه العظم القاسي ترشيه"، "آمن الحية وما تامنش المرأة".

فلو أخذنا من هذه الأمثال الشعبية المتداولة عندنا المثل القائل: "المرأة أخت اللفعة العظم القاسي ترشيه"، نجد أن المرأة قد شبهت بالأفعى في الإصرار والعناد، فهي بمداومتها وتكرارها الذي لا تمل منه

تعال من الرجل مهما كان قاسيا، ويأتي الوقت الذي يلين أمامها لأنها كالأفعى تتمكن من العظم القاسي أي الصلب باستخدامها السم الناعم، فالعلاقة بين المرأة والأفعى ليست بالأمر الجديد وإنما هي فكرة غائرة في الذهن البشري، فهي أداة للشر والأذى والخيانة.

ومن الأقوال المأثورة التي تشبه البشر في خبثهم ومكائدهم بالأفاعي، قول السيد المسيح لبني إسرائيل " يا أولاد الأفاعي " وذلك لشدة خبثهم ومكرهم. " ويرى بعض الدارسين أن تقلب مزاج المرأة أمر طبيعي، فأمرجتها ما هي إلا بقايا من أعصاب تلك الحية الفردوس المتسلسلة عبر التاريخ لتستقر في أعصاب كل امرأة مزاجية ". (أحمد أبو يحيى، 1997، ص195)

### 5-2- تشبيه المرأة بالعقرب:

من الأقوال الواردة في هذا الشأن: "المرأة عقرب حلوة اللسان"، فهذا المثل يبرز المرأة بوجهين، وجه للمداعبة واللذة، والتظاهر بالحب (حلوة اللسان)، ووجه آخر يعكس عقربا بشرها وخبثها وغدرها. وكذلك من الأمثال التي ترمز إلى ملل الرجل من الأثني وإحساسه بأنها عبيء عليه: "زوج أنسا في الدار كي العقارب في الدار"، و "زوج عقارب في غار ولا أختين في الدار" فالمثلان يبرزان ففة من الناس يعارضون فكرة تعدد الزوجات في مجتمعنا.

### 5-3- المرأة ورمز الماء:

من الأمثال الواردة في هذا الشأن: - "واش يغلب النار\*\*\* النار يغلبها الماء

- واش يغلب الخيل\*\*\* الخيل يغلبوهم الفرسان

- واش يغلب الفرسان\*\*\* آه الفرسان يغلبوهم النساء"

من خلال هذه الأقوال الشعبية المأثورة يتضح أن قطرات الماء تطفئ لهيب النار، وكذلك الفرسان الشجعان وما يتمتعون به من قوة، ونفسية صلبة، وقلوب قاسية إلا أنهم يلينون، وينزعون رداء الرفع والشأن العظيم أمام المرأة، وبخاصة أثناء عملية الحب والإنجاب، فكما أن الماء يطفئ النار، كذلك يمكنها إخضاع الذكر، هذا إن لم تدمره أصلا.

إن ارتباط المرأة بالماء ليس بالأمر الحديث، إنما الرمز تولد منذ عصور قديمة، فالعلاقة القديمة للماء متماثلة مع العضو التناسلي النسوي علاقة تبرز تمثيله الهندسي، وفي التوراة كما يذكر "لوك بنوا: «تلعب الآبار و الينابيع و المناهل دورا رئيسيا في المكان المقدس الذي تتم فيه لقاءات سماوية، وتتحقق فيه الاتصالات والعهود و المواثيق ". (كاملين بلاكر، 1981، ص59)

#### 5-4- المرأة رمز الخصب والنماء:

من الأمثال الشعبية الواردة في هذا الشأن:

- \* المرأة بلا ود كالخيمة بلا وتاد\*
- \* لو كان ما لمريا ما يجنيننا ابن ولا ابنه\*
- \* الأرض بالحرث تعطيك والمرأة بالجرح تقويك\*

من خلال الأمثال الشعبية المذكورة نستكشف أن المرأة ترمز للخصب والنماء، ويتحقق الخصب لما تكون المرأة أما، وأمومتها الكاملة تكتسبها بإنجاب الأبناء ذكورا وإناثا، وقيامها بشؤون تربيتهم ورعايتهم، هكذا تظل مكانتها في المناطق القروية والريفية محصورة في التربية والإنجاب لا غير، الأمر الذي تتضح من خلاله خصوصيتها وأنوشتها، ويتحقق نماء العشيرة أو القبيلة في مجتمعنا.

#### 5-5- المرأة رمز البناء:

من نصوص الأمثال الشعبية التي تبين أن المرأة هي رمز البناء في المجتمع الجزائري نسجل:

- \* بيت بلا مولاتو لخللا ولا مباتو\*
- \* لولاد لازمهم صحة حافر، ومال كاتر\*
- \* الحياة شوكة والمرأة وردتها\*

بلا شك أن المرأة تتحد بويضة رحمها مع مني الذكر، وبعد مراحل دقيقة يحصل الإنجاب، وتشكل أسرة فتيّة، هذه الأخيرة تمثل الخلية الأساسية الأولى التي يقوم عليها المجتمع، ومن التعريفات الواردة في هذا الشأن: "تعريف لوك بنوا": "الأسرة هي تلك الوحدة الاجتماعية المكونة من أفراد تربطهم عوامل حيوية واحدة أي علاقات الزواج والبنوة والأخوة. (لوك بنوا، 2001، ص05)

#### 5-6- المرأة رمز الشرف:

إضافة إلى رمز البناء والنماء، تضرب المرأة نماذج حية في العزة والشرف، وهذا ما تؤكد الأمثال الشعبية التالية:

- \* ما تقوم القيامة إلا على مطيرة ولا ظفيرة\*
- \* كل شيء مهاه ما خلا النساء وذكرهن\*
- \* المنية ولا الدنيا\*

ففي المثل الأول و من خلال كلمتي : "المطيرة " و " الظفيرة " -أي الماء و المرأة- نستشف سمة ونمط المجتمع الذي وردت في شأنه هذه الأمثال، لاشك أنه فضاء اجتماعي مستقر يعتمد على الزراعة ، بطلبه المتزايد على الماء للسقي بسبب طبيعة المنطقة الجافة ، فالاعتماد على الماء و ضرورة وجود اليد العاملة لخدمة الأرض، ودفع الخصوم لا يتحقق إلا بخصوبة المرأة و عفتها وصلاحتها ، كما أن الفرد في المجتمع الجزائري يفضل أن يعرف بعفة الشرف أفضل من أن يعرف بالشجاعة و الإقدام ، ذلك أن نظافة الشرف و نقاوته أنفع للرجل من المكانة المرموقة في المجتمع ، و كان من أكبر المآثم عند العرب أن يلتقي الرجل بالفتاة فيبدأها بالكلام أو يلقي إليها السلام ". (أحمد الخشاب، ص 102)

## 6- خلاصة:

يعكس خطاب الأمثال الشعبية واقع الأمة الجزائرية، ويختزن صوراً ذات دلالة ورمزية عن واقع المرأة وموقعها في مختلف مجالات الحياة البشرية، ومن خلال دراستنا لمختلف جوانب البحث المقدم، خلصنا إلى النتائج التالية :

- 1- إن الأمثال الشعبية جنس أدبي بالغ الأهمية في الثقافة الشعبية الجزائرية، فهو متداول بين أغلب فئات المجتمع، ويتميز بخصائص ومميزات أدبية وفنية راقية شكلا ومضمونا.
- 2- لقد تناولت الأمثال الشعبية ببلادنا مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، والنفسية، والفكرية، واللغوية، والثقافية، وحتى الاقتصادية منها.
- 3- أهم ما تتميز به الأمثال الشعبية المرتبطة بصورة المرأة وموقعها ورمزيتها في المجتمع، هو اتصافها بالتباين والتعدد إلى مستوى يصعب معه إيجاد رابط يجمع بينها، إذ نجد لها موضوعا للرجبة، وموضوعا للرهبة في الآن نفسه.
- 4- الرموز المتعلقة بالمرأة نشأت ضمن مكونات الثقافة الشعبية، انطلاقا من تمثلات الرجل والمجتمع لقيمتها ورمزيتها.
- 5- يجمع كثير من الباحثين في ميدان الأدب الشعبي الجزائري، أن رمزية المرأة في هذا الموروث الحضاري العريق والأصيل في مجتمعها عبر الأجيال المتعاقبة، سيظل فنا راقيا مميّزا، ومختزنا في للشعور الفردي، يؤدي أدواره، سواء كانت إيجابية أو سلبية.
- 6- سنبقى علاقة الرجل بالمرأة من خلال الأمثال الشعبية، قوامها التكامل والتعاضد، التعاون والتضامن، ورغم ما احتوته بعض الأمثال من صور مهينة للمرأة، ومقللة لدورها الريادي الفعال في مجتمعنا.

7- قائمة المصادر والمراجع:

- (1) - أبو علي محمد، محمد توفيق، الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دراسة تحليلية، دار النفائس، بيروت، 1998، ص32
- (2) - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، الجزء 6، ص432.
- (3) رابح العوي، أنواع النثر الشعبي، الجزائر، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، -د/ت، ص39،40
- (4) ألتلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، 1990، ص155
- (5) السيوطي، المزهري في علوم الدين وأنواعه -د/ت- دار إحياء الكتب، ج1، ص 486
- (6) أحمد أمين قاموس العادات و التقاليد والتعابير المصرية، 2008، ص61
- (7) رابح العوي، مرجع سابق، ص 174، 176
- (8) عبد المالك مرتاض، عناصر التراث العربي في -اللاز- ط1، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص98
- (9) حلمي بدير، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، ط2، مصر دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 1997، ص33.
- (10) ينظر طارق فراج وأيمن أنور، مقال من الأمثال الشعبية بالواحات، مجلة الفنون الشعبية، العددان: 77/76، الهيئة المصرية العامة للكتاب السنة: 2007/ 2008، ص116.
- (11) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع ، مصر، المركز الجامعي الحديث، الإسكندرية ، 1993، ص42.
- (12) التلي بن الشيخ، مرجع سابق، ص179.
- (13) التلي بن الشيخ مرجع سابق، ص157.
- (14) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مرجع سابق، ص41
- (15) إبراهيم نبيلة، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط3، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر ، 1981، ص179.

- (16) عبد المالك مرتاض، دلالة الأمثال والحكم الشعبية على نقاوة عاميتها، مجلة الثقافة الجزائرية، ص34.
- (17) إبراهيم نبيلة مرجع سابق، ص182.
- (18) طارق فراخ، وأيمن أنور، مرجع سابق، ص113.
- (19) جمال الدين أبي الفضل بن منظور، لسان العرب، ج5، دار الكتب العلمية، تح: عامر أحمد، ط1، بيروت، لبنان، 2002، ص471.
- (20) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة، 2004، ص115.
- (21) محمد بو زواري، معجم مصطلحات الأدب، الدار الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 2009، ص155.
- (22) عماد علي الخطيب، الصورة الفنية أسطوريا، جهينة، دط، عمان، 2006، ص40.
- (23) إدريس الكريوي، بلاغة السرد في الرواية العربية، دار الأمان، ط1، الرباط، المغرب، 2014، ص280.
- (24) جليبور دوران، ورد عند عبد الحميد جحفة «أسطورة النهار وسحر الليل»، الفحولة وما يوازيها في التصوير العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1999، ص09.
- (25) أحمد أبو يحيى، الحية في التراث العربي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 1997، ص195.
- (26) كاملين بلار، المرأة الأفعى في الأساطير والحرفات اليابانية، ترجمة لطفي الخوري «التراث الشعبي»، ع6-7، السنة الثانية عشر، حزيران، تموز، دار الجاحظ للنشر، بغداد، 1981، ص59.
- (27) لوك بنوا، إشارة ورموز وأساطير، تعريب فايز كم نقش، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، 2001، ص58.
- (28) أحمد الخشاب، مبادئ علم الاجتماع، ط1، مكتبة مصر، القاهرة، ص102.